

روح المعاني

العزة فى قوله تعالى : أعزة على الكافرين عديت بها كما يقتضيه استعمالها وقد قارنتها فاعتبرت المشاكلة وقد صرحوا أنه يجوز فيها التقديم والتأخير وقيل : لأن العزة تتعدى بعلى والذلة ضدها فعوملت معاملة لهما لأن النظير كما يحمل على النظير يحمل الضد على الضد كما صرح به ابن جنى وغيره وجر أدلة و أعزة على أنهما صفتان لقوم كالجمله السابقة وترك العطف بينهما للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة وقد جاء ذلك فى غير ما آية ومن لم يجوزه جعل الجملة هنا معترضة ولا يخفى أنه تكلف ومعنى كونهم أعزة على الكافرين أنهم أشداء متغلبون عليهم من عزه إذا غلبه ونص العلامة الطيبي أن هذا الوصف جء به للتكميل لأن الوصف قبله يوهم أنهم أذلاء محقرون فى أنفسهم فدفع ذلك الوهم بالاتيان به على حد قوله : جلوس فى مجالسهم رزان وإن ضيف الم فهم خفوف وقرء أدلة و أعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصيصه بالصفة يجاهدون فى سبيل الله بالقتال لاعلاء كلمته سبحانه وإعزاز دينه جل شأنه وهو صفة أخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم وجوز أبو البقاء أن يكون حالا من الضمير فى أعزة أى يعزون مجاهدين وأن يكون مستأنفا ولا يخافون لومة لائم فيما ياتون من الجهاد أو فى كل ما يأتون ويذرون وهو عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جامعون بين المجاهدة والتصلب فى الدين وفيه تعريض بالمنافقين وجوز أن يكون حالا من فاعل يجاهدون أى يجاهدون وحالهم غير حال المنافقين والتعريض فيه حينئذ أظهر وقيل : إنه على الأول لاتعريض فيه بل هو تتميم لمعنى يجاهدون مفيد للمبالغة والاستعيا ب وليس بشء واعترض القول بالحالية بأنهم نصوا على أن المضارع المنفى بلا أو ما كالمثبت فى عدم جواز دخول الواو عليه وأجيب بأن ذلك مبنى على مذهب الزمخشري القائل بجواز اقتران المضارع المنفى بلا وما بالواو فان النحاة جوزوه فى المنفى بلم ولما ولا فرق بينهما و اللومة المرة من اللوم أى الاعتراض وهو مضاف لفاعله وأصل لائم لاوم فاعل كقائم وفى اللومة مع تنكير لائم مبالغتان على ما قيل ووجه ذلك العلامة الطيبي بأنه ينتفى بانتفاء الخوف من اللومة الواحدة خوف جميع اللومات لأن النكرة فى سياق النفى نعم ثم إذا انضم إليها تنكير فاعلها يستوعب انتفاء خوف جميع اللوام فيكون هذا تتميما فى تتميم أى لا يخافون شيئا من اللوم من أحد من اللوام .

وقيل عليه : بأنه كيف يكون لومة أبلغ من لوم مع ما فيها من معنى الوحدة فلو قيل : لوم لائم كان كأبلغ وأجيب بأنها فى الأصل للمرة لكن المراد بها هنا الجنس وأتى بالتاء للإشارة إلى أن جنس اللوم عندهم بمنزلة واحدة وتعقب بأنه لا يدفع السؤال لأنه لا قرينة على هذا

التجوز مع بقاء الابهام فيه وقد يقال : إن مقام المدح قرينة قوية على ذلك ذلك إشارة إلى ما تقدم من الاوصاف لابعضها كما قيل والافراد لما تقدم وكذلك ما فيه من معنى البعد فضل ا
أى لطفه وإحسانه يؤتية من يشاء إيتاءه إياه لأنهم مستقلون فى الاتصاف به وا
الفضل أو جواد لا يخاف نفاد ما عنده سبحانه عليم .